حياتها السياسية والاجتماعية دون أن ترغب في دمجـــه ومنحه المساواة ، أي دمجه بالطاعة دون أن يكون مندمجا بالحقوق !

●

باختصار ، لم تتمكن اسرائيل من خلق الطراز العربي الذي تريده . ولم تتمكن من خلق مواطن عربي اسرائيلي بالمفهوم الدقيق للمصطلح . وأكثر من ذلك : لم تتمكن من عقد الصلح معه . ان حربه صامتة ولكنها فعالة . وبقاؤه ـــ مجرد بقائه ، ودوره رغـــم تواضعه في الحياة السياسية يعتبر انتصارا له في حربه الشاقة التي يشنها منذ ربـــع قرن بكل الوسائل الممكنة : بالتحدي الصامت والصارخ ، بالمظـــاهرة ، بالاضراب ، بالتناسل ، باليسار ، بالعمل السري ، بالقصيدة ، بالهويـــة ، باصراره على القول : أنا عربي . بالصبر . بالانتظار ، بالتعلق بالاغاني العاطفية والوطنية التي يسمعها مـــن محطات الاذاعة العربية . انه يستنزف نفسيا ؟ صحيح ولكنه لا يسلم . انه يتكلم اللغة العبرية ويتقنها أكثر من وزير اسرائيلي ، ولكنها لا تشمله ولا تحتويه . وان أكثر مـــا يستنزفه هو حالة الانتظار الطويلة . ولكن هذا الانتظار هو الذي يغذي انتماءه يوما يوما . تصيبه خيبات أمل ولكنها لا تكون الا تعبيرا عما يكنه لواقعه من رفض وعن مدى تعلقه بانتمائه القومي . ينتظر لانه يشعر ان كل شيء ، لديـــه ، مؤقت . واكثر مما يستنزفه هذا الانتظار فانه يستنزف أمل الذين استولوا على وطنه بدفعه الى الطاعة والتسليم . يجلس في حلوقهم كالشوكة . يغير اساليب رفضه طبقا لما يقدره من امكانيات وظروف . يعرف هويته ويرتبك أحيانا فترده معرفته لهوية الغزاة الى توازنه السابق . ينسى ، أحيانا ، انه محتل لانصرافه الى الاشتباك مع مصادر العيش ، فيخلق أبناء لا ينسون أنهم محتلون . دهش الخبراء الاسرائيليون عندما لاحظوا ان الجيل الجديد ـــ الجيل الذي ولد تحت الاحتلال أكثر احساسا بانتمائه القومي وبرفضه للكيان الاسرائيلي.

هؤلاء العرب المقيمون في اسرائيل لا تشبه حالتهم حالة اخرى في العالم ـــ هكذا يقول الاسرائيليون . ان حالة الاغتراب التي خلقها الاحتلال الاسرائيلي فيهم لم تمتد الـــى الاغتراب عن هويتهم وعن انتمائهم . لقد ردوا عليها بالاغتراب عن الحالة الاسرائيلية. صحيح ، أنهم يعيشون تحت الاحتلال غرباء في وطنهم . ولكنهم ليسوا غرباء عن وطنهم. وقد قسم طوليدانو ربع القرن الذي مضى الى ثلاث مراحل : المرحلة الاولى هي «مرحلة الانتظار» وقد امتدت منذ عام ٤٨ حتى حرب سيناء «كان عرب اسرائيل خلالها ينتظرون، انهم لم يكونوا متأكدين من مصير هذه الدولة ، وفيما اذا كانت ستبقـــى ام ستزول » . والمرحلة الثانية يسميها « مرحلة التسليم الجزئي » وهي تمتد من حرب سيناء حتى حرب الايام الستة » وقد بدأ العرب في هذه المرحلة يسلمون بوجود الدولة مع بعض الشكوى، شكوى شديدة من الحكم العسكري ومصادرة الاراضي وعدم حرية الحركة وما شابه » . ويسمي المرحلة الثالثة « مرحلة التسليم الشامل » وهي تمتد منذ عام ٦٧ حتى اليوم . « ان دولة اسرائيل حقيقة قائمة ، والازدهار الاقتصادي يسجل تقدما مطردا ، وكافة شكاوي العرب ضد الحكومة قد ازيلت » . ويضيف : « وهذه المرحلة بالذات طرحت علامات استفهام لم تكن قائمة في الماضي وهي علامات استفهام صعبة . يسألـــون أنفسهم : من نحن ؟ ما هو مكاننا في هذه الدولة ؟ وما هو مستقبلنا في البلد كأقلية قومية في دولة اسرائيل اليهودية » . ويعترف طوليدانو بأنه من غير الممكن تقديم حلول عن هذه الاسئلة الشاقة . وان مشكلة ولاء العربي لاسرائيل ستظل قائمة ما لم يحل السلام بين اسرائيل والعرب .

ان هذا الاعتراف يشمل اعترافا آخر لا يريد الاسرائيليون أن يفصحوا عنه ، وهو أن ما